الصورة والتشكيل الأسلوبي
في شعر الدكتور عبدالرحمن صالح العشماوي
ديوان (القدس أنت) نموذجاً

إعداد الدكتور

محمود عبد الله محمد عطا الله

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

الصورة والتشكيل الأسلوبي
في شعر الدكتور عبدالرحمن صالح العشماوي
ديوان (القدس أنت) نموذجاً

إعداد الدكتور

محمود عبد الله محمد عطا الله

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد،

فإن الأدب يؤدى دورا كبيرا فى تهذيب النفوس وإرساء القيم والأخلاق فى المجتمع، وانطلاقا من هذه الرؤية وقع اختيارى على الشاعر عبدالرحمن العشماوى ليكون إبداعه الشعرى محل الدراسة فى هذا البحث، فهو يمتلك رؤية محددة ومنهجا واضحا يؤمن به ويطبقه فى إبداعه الأدبى، كما يؤمن بضرورة العمل بطرق علمية لتثبيت هذا المنهج، يقول(١) "من الضرورى طرح المنهج الإسلامى فى الأدب طرحا علميا موثقا تبرز من خلاله وشائج الاتصال القوى بين شخصية أمتنا الإسلامية والأدب الحى النابض الذى يعبر عن هذه الشخصية "ومما يشير من شعره إلى ذلك المعنى قوله(٢):

يا أمة الإسلام جل مصابي .·. وأطار حقد الخائنين صوابى

---

(١) د/ عبدالرحمن العشماوى ــ علاقة الأدب بشخصية الأمة ١٠ طبعة أولى ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م مكتبة العبيكان.

(٢) د/ عبدالرحمن العشماوى ديوان شعر ــ يا أمة الإسلام ص٣٢ ــ ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م مكتبة العبيكان.

فاتيت أرفع كف شعرى، ربما ∴ فتحت أمامك مغلق الأبواب

وقد اهتم الشاعر بمضمونه الشعرى اهتماما دفعه إلى الحرص على نبذ الإغراق فى غريب المعانى، وطلاسم الأفكار ومن ثم خرجت لغته مباشرة وفكرته واضحة، ومن بين دواوينه الشعرية وقع اختيارى على ديوان القدس أنت ليكون نموذجا لدراسة الصورة والتشكيل الأسلوبى فى شعره، ويعود سبب اختيارى لهذا الديوان إلى كونه من أحدث دواوينه الشعرية، ومن ثم نجد فيه النضوج الفنى وقد قامت الدراسة على فصلين: الأول درست فيه الصورة الشعرية مبرزا أهم الأشكال التى اعتمد عليه الشاعر فى رسم صوره.

أما الفصل الثانى ففيه درست التشكيل الأسلوبى مبينا أثر هذه الأساليب التشكيلية فى الإبانة عن المعنى والدلالة على عاطفة الشاعر وتجربته ثم تبع ذلك خاتمة بأهم نتائج البحث.

والله من وراء القصد وإليه قصد السبيل

تمهيد

- **النشأة ومنهجه الشعري:ـ**

في منطقة الباحة بجنوب المملكة العربية السعودية ولد الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوى عام ١٩٥٦م وتلقى دراسته الابتدائية هناك وعندما أنهى دراسته الثانوية التحق بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ثم تخرج فيها عام ١٣٩٧ هجرية ، ثم نال شهادة الماجستير عام ١٤٠٣ هـ ، وبعدها حصل علي شهادة الدكتوراه من قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامية عام ١٤٠٩ للهجرة .

وتدرج العشماوي في وظائف التدريس في جامعة الإمام محمد بن مسعود حتى أصبح أستاذاً مساعداً للنقد الحديث في كلية اللغة العربية في هذه الجامعة .

أما شعره فيتسم بالمنهج الإسلامي حيث إن شاعرنا واحد من الشعراء الإسلاميين الذين خرجوا بالشعر الإسلامي من الظلام إلي النور ، فهو صاحب القصائد التي تدعو إلي بزوغ فجر جديد ، وأسلوبه يميل إلي الخطابة لكنه في جملته حماسي مليء بالتجربة الحية، غالباً ما يتحدث فيه الشاعر عن الأمل القادم والإشراقة الجديدة للشمس التي يتمنى الشاعر أن تنير سماء الأمة الإسلامية من جديد . ولشاعرنا دواوين متعددة منها : (يا أمة الإسلام – قصائد إلي لبنان – عندما يعزف الرصاص – نقوش علي واجهة القرن الخامس عشر – إلي أمتي) وفي هذه الأعمال الشعرية عالج الشاعر واقع الأمة الإسلامية وقضاياها .

ومن دواوينه الشعرية أيضاً (إلي حواء – عندما يئن العفاف – حليمة والصوت والصدى) وفيها عالج الشاعر قضايا اجتماعية ،

ومن أعماله الذاتية دواوين (بائعة الرياحين – عناقيد الضياء – صراع مع النفس) ٠

أما ديوان (القدس أنت) محل الدراسة ففيه تناول القضية الفلسطينية بكل جوانبها وسوف نقوم بدراسته فنياً متناولين الصورة والتشكيل الأسلوبي .

الفصل الأول

الصورة الشعرية

- **الصـــــورة الشعريـــــة :ـ**

أولاً: مدخل عن مفهوم الصورة

الصورة من أهم العناصر التي يتكون منها العمل الأدبي عامة ، وهي في الشعر تعد أهم عناصره علي الإطلاق ، والصورة في العمل الأدبي نجدها متعددة المشاهد والمواقف التي يقـف عليهـا الأديـب ويتأثر بها فمنها المواقف النفسية وفيها يعلو الجانب النفسي علـي غيره ، ومنها المشاهد الحسية وفيها يكون الرسم هو الغالب عليها ، وقد يكون الجانب الفكري هو أبرز الجوانب وضوحاً فيها .

ولأهمية الصورة في خلق التأثر والإمتزاج بالحالة التي تأثر بها الشاعر يقول الناقد الكبير أحمد الشايب [١] " فالأديب الموفق يعمـل غير ذلك : يرى الأشياء والأحداث ويدرك ما فيها من أسباب الروعة والاتفاق ، ثم يعرضها علينا أنها حقيقية ملموسة وهو إذ يعرضـها علينا لا يكتفي – غالباً – بعرضها صامتة ، بل مفسرة مصـورة أو مجسمة عسى أن ندرك أسـرارها فيشـملنا الإعجـاب أو الرحمـة والاتفاق "

ويقول الدكتور محمد حسن عبد الله في تعريفـه للصـورة [٢]: "صورة حية في كلمات استعارية إلي درجة ما في سياقها نغمة خفيفة من العاطفة الإنسانية ، ولكنها – أيضاً – شـحنت – منطلقـة إلـي القارئ – عاطفة شعرية خالصة أو انفعالاً " .

---

(١) د. أحمد الشايب . أصول النقد الأدبـي / ٢١١ / ط ٨ / ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصرية

(٢) د. محمد حسن عبد الله . الصورة والبناء الشـعري / ٢٣٢ دار المعارف ١٩٨١م

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن الصورة انعكاس داخلي للمشاعر والأحاسيس الكامنة داخل الشاعر تجاه الحياة كما أن القصيدة في مجملها صورة واحدة ، يقول [١] " علي أن هذه الصورة بعد ذلك تعبر في مجملها عن حركة تحقق ونماء نفسي تجعل من القصيدة في مجملها صورة واحدة من طراز خاص يحقق فيها نوع من التكامل بين الشاعر والحياة " .

إذاً فالصورة الشعرية تعكس مدى صدق التجربة لدى الشاعر وتفاعله مع العناصر الخارجية والداخلية الباعثة علي خلق العمل الفني ، ومن ثم كانت الصورة الجيدة عند الدكتور خفاجي " هي القادرة قدره كاملة علي أداء تجارب الشاعر ومشاعره " [٢] .

ويرى الدكتور علي صبح أن الصورة الأدبية " نموذج للتجربة الشعرية التي يمر بها الشاعر في عمله وهي التمثيل الحي للخواطر والعواطف والمشاعر[٣].

وفي شعرنا المعاصر تميزت الصورة عنها في الموروث الشعري حيث إنها أصبحت عضوية في ظل تجربة عضوية صادقة وأصبحت تعبيرية إيحائية لا تقف عند حد الحسي ، ولا تسلك مسلك الوصف المباشر أو البرهنة العقلية [٤].

---

(١) د. عز الدين إسماعيل . الشعرية العربي المعاصر قضاياه وظواهر الفنية والمعنوية / ١٢١ ، ط ٥ ، مكتبة الأكاديمية ١٩٩٤م .

(٢) د. محمد عبد المنعم خفاجي . الأدب العربي الحديث ، ٢/ ١٢١ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣) د. علي صبح . الصورة الأدبية / ١٣٠ طبعة دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ .

(٤) د. صابر عبد الدايم . شعراء وتجارب / ١٢٢ طبعة دار الوفاء الإسكندرية ٢٠٠٠

ثانياً: طرائق تكوين الصورة لدى الشاعر

(١) الصورة في إطار التشخيص و التجسيد :

وبالنظر في ديوان (القدس أنت) للدكتور عبدالرحمن العمشاوي، وجدت أنه يضم العديد من الصورة الشعرية الجيدة التي تعكس عمق التجربة وصدقها وقد استخدم الشاعر بعض الوسائل الفنية الرائعة في رسم صوره، نجد ذلك في قوله من قصيدة (نعم يا بني قومي)[١]:

سؤالي الذي ينمو علي ثغر أمتى .:. أيرضى بأن يرعى السلام "فلان"

وقوله من قصيدة (أسرج شموخك يا بطل) [٢] :

مالي أراك لبست ثوب الوهم
في عصر بمنطقة احتفل
وخلعت ثوب الوعي
واستسلمت لليأس الذي يلد الملل ؟

ففي النص الأول نلحظ اعتماد الشاعر علي التشخيص حيث جعل من المعاني المجردة صوراً حسية تتحرك وتنبض بالحياة ، وذلك نلحظه في استخدام الجمل الفعلية (ينمو .... ويرعى ....)

وفي النص الثاني جعل الشاعر من الوهم والوعى شيئاً محسوساً يرى ويلمس وذلك من خلال استخدام الجمل الفعلية (لبست..) و(خلعت ...) ، ثم ترتقي الصورة مع رقي التجربة وشدة التفاعل عندما خلع الشاعر علي اليأس صفة الكائن الحي الذي يلد ومن التشخيص عنده – أيضاً – قوله[٣]:

تقيم القوافي عند باب مشاعرى .:. لترى ما يدلى به الخفقان

---

(١) د. عبد الرحمن صالح العشماوي ديوان شعر القدس أنت / ٣٠
(٢) القدس أنت / ١٨
(٣) القدس أنت / ٢٤

ففي البيت خلع الشاعر علي القوافي صفة الإنسان ، كما جعل مشاعره في صورة البناء وبه أبواب ، فالقوافي واقفة علي باب المشاعر لترى ما يجيش بخاطر الشاعر من معانٍ وأحاسيس ؟، ويبدو أن الصورة مستدعاه من طريقة الشعراء القدامى وقد كانوا عادة يقفون علي أبواب الأمراء . وقد وفق الشاعر في رسم هذه الصورة إذ بدأها بصيغة المضارع وهي تفيد الاستمرار والتجدد.

وفي قصيدة (لا تريقي الصبر) يستخدم الشاعر التجسيد في رسم صورة جزئية ، حيث جعل من الصبر شيئاً محسوساً يراق (كالماء) مثلا يقول[1]:

لا تريقى الصبر يا ذات الوشاح ∴ ففدآ يلقاك بالبشر صلاح

البيت يحكي صمود المرأة المسلمة في فلسطين ، وكيف أن صبرها لا ينفك عنها فهي تفقد كل غالٍ لديها لكنها لا تفقد الصبر ، والشاعر في البيت صور الصبر بالسائل المصان في وعاء ، وإذا ما كان الوعاء مملوءاً بهذا السائل كان الصمود وكانت المقاومة .

وفي قصيدة (لا تيأس) نلحظ بوضوح استخدام الصورة الإيحائية الموازية للتجربة الشعرية ، حيث يحكي الشاعر مشهداً من آلاف المشاهد التي رأتها غزة أثناء العدوان الصهيوني عليها مشهداً، ففي وقفة شعورية مع الطفلة (مها) التي شهدت مقتل أهلها جميعاً في مجزرة غزة ، ورأت أشلاءهم تتطاير مع أطباق عشائهم . يقول[2]:

١ـ في ليلة مقتولة الأسحار ∴ أثوابها محروقة بالنار
٢ـ يا ليلة سوداء أقفر صمتها ∴ إلا من الآلام والأكدار

(١) القدس أنت / ١٩٢
(٢) القدس أنت / ٩٤ وما بعدها

٣ـ فكأنما الغول التي وصفوالنا ∴ قسماتها في سالف الأخبار
٤ـفي وجهها أرتسمت لنا صور الأسى ∴ وبدت ملامح قبحها المتواري

نلاحظ في النص الإيقاع الحزين الذي يعكس مشاعر إنسانية أثقلتها مرارة الظلم والقهر حتى بدا الشعور بالكآبة والخوف هو الذي يلون المشهد فيستدعي الشاعر السواد صفة لليل الذي لم يسر فيه إلا صوت الآلم والحزن كما في البيت الثاني ، وفي البيت الثالث يضيف الشاعر إلي الليل تصويراً آخر حيث جعله غولاً ، وقد تعارف العرب قديماً علي أن الغول مخلوق قبيح الهيئة ذو أنياب فتاكة ، وفي البيت الرابع يرى الشاعر في هذه الليلة صورة أخرى فقد تراءت فيها صورة الأسى والظلم .

والذي يلفت النظر هنا أن هذه الصورة كثيراً ما نصادفها في الشعر قديماً وحديثاً وفيها تظهر مباشرة الدلالة الشعورية التي تحملها، دون تكلف للتأويل والتفسير، حيث إنها تعتمد في تكوينها علي عناصر الإيحاء المباشر. ويقول – أيضاً– في القصيدة نفسها[١]:

وبأي ثغر تنطق الدّار التي ∴ فجعت بموت جميع أهل الدار ؟

في البيت نلحظ التجسيد الظاهر في استعارة الثغر للدار ، وكأنها – من هول ما أصاب أهلها من القهر والظلم والقتل والتشريد – شعرت هي – أيضاً – بالظلم وشدة الألم ويظهر التجسيد بوضوح عند استخدام الشاعر لصيغة الفعل المضارع كما في قوله من قصيدة (يا فارس الحجر الأشم) [٢] :

يا فارس الحجر الأشم ، قصادئي ∴ بالحب نحوك والمودة تبحر

فالتعبير بالفعل (تبحر) جعل من القصائد شيئاً محسوساً يتجه إلي من أحب قصداً منه وحباً فيه .

(١) القدس أنت / ٩٧
(٢) السابق / ١٢٨

وفي قصيدة (اكسروا هذى السلاسل) يستخدم الشاعر اللــون في رسم الصورة عن طريقة الايحاء بهذا اللون إلي حالة شــعورية معينة يقول[1]:

يـــاجراح الطفـــل أشـــعلت جراحـــي

وقتلـــت البســـمة الخضـــراء في ثغـــري

وأحييـــــــــــــت نواحـــــــــي

في الصور نلحظ التشخيص المأخوذ من نداء الجراح الواقعــة علي الطفل الفلسطيني ، ومن خلال هذه الجراح كانت تجربة الشاعر حيث أثارت عاطفتة وأشعلت لديه مشاعر موازيــة لجــراح الطفــل ومشاعره ، وقد أفاد الطباق بين الفعلين (قتل) و (أحيا) تفــاعلاً بين جراح الطفل وجراح الشاعر ، ومن ثم تحولت المشاعر المعنوية إلي ألوان حسية موحية ، فالون الأخضر يوحى – عــادة – بــالخير والنماء والتفاؤل وفي الصورة يتحول هذا اللون بدلالته المعروفة إلي دلالة أخرى تحمل معنى الحزن واليأس وذلك عن طريق إسقاط الفعل " قتلت " عليه .

وفي قصيدة (رسالة من القضية .. إلي الأمة العربية) يستخدم الشاعر عنصر التجسيد الموحى . يقول[2]:

أواه يــا شمــس النهــار أريتنــا ∴ لمـــا طلعـــت الهـــارب المغـــوار
فبـــدالنا يـــا للأســـى متآبطـــآ ∴ كـــف المذلـــة تائهـــآ محتـــارا

في البيتين يحكي الشاعر حال الذين نافقوا وباعوا قضــيته ثــم فضحهم الله بعد ذلك وكشف أمرهم ولم يجدوا عند ذلك إلا أن يحملوا

(١) القدس أنت / ١٧٧
(٢) القدس أنت/ ٢٤

ذلهم في أيديهم ، وقد عبر الشاعر إشارة إلي ذلك بقوله (متأبط كف المذلة) كما أن اللون واضح في الصورة فهم كانوا في الظلام مستترين عن أعين الناس ، ثم تغير اللون وظهر الضياء الذي كشف مكرهم .

(٢) **الصورة في إطار تراسل الحواس** :

ومن العناصر الجديدة التي استخدمها الشاعر في رسم الصورة اعتماده علي تراسل الحواسل الحواس ؟، يقول في مطلع قصيدته (قراءة في وجه امرأة شوهاء) [١]:

بدت بوجه قبيح اللون محروق ∴ وقد علت فيه أصوات المساحيق

فالمساحيق من الأشياء التي تدرك بحاسة البصر ، وقد أضافها الشاعر إلي الأصوات وهي وصف خاص بمدركات حاسة السمع ، كما نلحظ في الصورة تعانق الأشياء المتباعدة لتعطي إيحاءً غريباً حيث تتحول هذه المحسوسات إلي مشاعر وأحاسيس خاصة بعالم الشاعر وتجاربه .

(٣) **الصورة في إطار المفارقة التصورية** :

ومن الأساليب الجديدة التي استخدمها الشاعر – أيضاً – أسلوب المفارقة التصورية ، يقول من قصيدة (الطريق إلي الأقصى)[٢]:

يا عرسوآ زفها الليل إلي ∴ غابة البؤس وكهف الضجر

ففي البيت نلحظ المفارقة بين الفرح والسرور والبهجة وهي معاني يستحضرها الذهن مع سماعة كلمة (عروساً) في البيت ، وبين زفاف الليل لهذه العروس إلي البؤس والحزن .

---

(١) القدس أنت / ٣١
(٢) القدس أنت / ٧٨

ونجد ذلك – أيضاً – في قصيدة (آه يا يمان) حيث يقول فيها حكاية عن الأم الفلسطينية وهي تنتظر زوجها الغائب ، وقد ولدت لها طفلة في هذه الأثناء : يقول [1]:

ترضع الطفلة من ثدى الأسى ∴ في مساء فاقد معنى الهجوع

في البيت نرى صورة الأم التي ترضع طفلتها في المساء وهي صورة عادة ما توحى بالحنان والسعادة والفرح ، فالطفل يأخذ من أمه لبن الحياة ، والمساء – عادة – ما يوحى بالسكون . لكننا نلحظ في الصورة معاني أخرى مفارقة لما قد يتبادر في الذهن من المعاني السابقة ، فالطفلة تتجرع مرارة الأسى والحزن بدلاً من الفرح والسرور ، ومساؤها مضطرب غير آمن .

ويستخدم الشاعر صوراً أخرى من المفارقة التصويرية ففي قصيدة (يا فارس الحجر الأشم) يستخدم بعض المعطيات التراثية لإبراز التناقض بينهما وبين بعض الأوضاع المعاصرة . يقول[2]:

برزت أمامي صورة ابن رواحة ∴ وبجناحيه بدا أمامي جعفرُ
وسمعت حمحمة الخيول وقد علا ∴ نقع ، ومدّ يد البطولة حيدر
ورأيت نصر الله يفتح صفحة ∴ كتبت علي اسم الله فيها خيبر
ورأيت حطين الجهاد تألقت ∴ بالنصر ساحتها ، وزال المنكر
وتألق التاريخ ، حتى خلتني ∴ عن موكب الأمجاد لا أتأخر
عددَ قليل غير أن يقينه ∴ جعل القليل مع البطولة يكثر
والآن ، مليار كبحر ساكن ∴ لا ريحه هبت ، ولا هو يزخر
عدد كبير ، غير أن خضوعكم ∴ جعل الملايين الكبيرة تصغر

في الأبيات نلحظ مقابلة الشاعر بين طرفين الأول تراثى صرح فيه بما يميزه وجعله مستقلاً بذاته ، والثاني معاصر أشار فيه إلي ما يميزه علي سبيل المغايرة أو المقابلة مع الطرف الأول فالصورة إذاً

(١) القدس أنت / ١٦٤
(٢) القدس أنت/ ١٢٤

ذات شقين الأول يحمل من عبير المجد والعزة مع القــوة ، والثــاني يحكي ما آل إليه هذا المجد من فتور وخمود مع ضعف ومن خــلال التوازي بين الطرفين يبدأ التفاعل بينهما وتبرز المفارقة .

وفي قصيدة (بيان من أشلاء طفل) يرسم الشاعر صورة عن طريق المفارقة بين طــرفين الأول تراثــي اســتدعي فيــه موقــف (المعتصم) الخليفة العباسي عندما حرك جيشاً لحرب الروم اســتجابة لصراخ امرأة مسلمة ، وبين الواقع العربي المعاصر ، وهــو يلــبس لباس الذل والخوف والتخاذل. يقول(١):

حـرّك المعتصـم الجيـش انتصـاراً ∴ لفتــاة ، صــوتها البــاكي تظلــم
خاضــها معركــة كــبرى أعــادت ∴ هيبــة في نفــس مــن خــان وأجــرم
انضج السيف جلـود الـروم فيهـا ∴ قبــل أن تنضــج أعنــاب وتصــرم
وأرى أمتنــا اليــوم خنوعــاً ∴ تغرهــا بــالخوف والــذل مكمــم
صرفت عن صرخة الأيتـام وجهـاً ∴ وكــأن النــاطق المفصــح أبكــم

في الأبيات نلحظ المفارقة بين الطــرف الأول التراثــي وبــين الطرف الثاني المعاصر وقد ساعدت المفارقة علــي تعريــة الواقــع وكشف ضعف النفوس الذي أصيبت به الأمة .

(٤) الصورة في إطار التشبيه :

في شعر الدكتور صالح العشماوي نلحظ وجود الصور البنائيــة التي اعتمد فيها علي التشبيه ومن ذلك قوله(٢):

كن كـالربيع إذا تـألق بالبشاشـة واحتفـل
كــالفجر حــين يــزق للــدنيا
تباشير الأمل

(١) القدس أنت / ٢٠٢
(٢) القدس أنت / ١٥

في الأبيات يخاطب الشاعر الفلسطيني المناضل واصفاً إياه بالربيع في حسن طلعته وبهاه منظره ، وبالفجر حينما يسعد النفوس بظهور الصباح. وفي هذه الصورة نلحظ اعتماد الشاعر علي عناصر الطبيعة .

وفي قصيدة (يا فارس الحجر الأشم) يستدعي الشاعر صورة الجبل حيث صمود البطل الفلسطيني في وجه الضغيان وثباته القوى الشامخ شموخ الجبل وثباته. يقول[١]:

إني رأيتك في مواجهة الردى ∴ جبلاً بهامته السحائب تبهر

في البيت صور الشاعرُ المناضل في صورة الجبل مستخدماً علاقة المشابهة بين علو الهمة عند الشاب المسلم في فلسطين وبين صورة الجبل في ثباته وعلو هامته ومما جعل الصورة أشد وضوحاً وثباتاً حذف الشاعر الأداة الدالة علي المشابهة

ويقول – لشاعر – في القصيدة نفسها [٢]:

وأعدت ماضيها الجميل ، كأنه ∴ من بعد غيبته الطويلة يحضرُ [٣]

في البيت يصور الشاعر موقف المجاهد في فلسطين وهو يحمل قضيته بكل عزم وإيمان رافضاً معنى التخاذل والذل بصورة السابقين من المسلمين حيث كانت الأمة الإسلامية أكثر الأمم عزه وأشدها بائساً . وفي الصورة نلحظ التجسيد الظاهر عن طريقة استخدام الشاعر لصيغة الفعل المضارع (يحضر) ٠

(١) القس أنت / ١١٧
(٢) السابق / ١٢٤
(٣) المراد بماضيها ماضي الأمة الإسلامية

(٥) الصورة في إطار الكناية :

استخدام الشاعر أسلوب الكناية للتعبير عن تجربته الشعرية تعبيراً مؤثراً عن طريق التصوير في هذا الإطار . يقول من قصيدة (سفينة الأمة)[١] :

تدعو بنى الإسلام ، لكنهم ∴ باعوا حَسام العزم بالمزهر

في البيت يصور الشاعر حال الأمة وقد تحولت من حالة العزة والكرامة إلي حالة الذلة والاستكانة ، بحال من باع سلاحه الذي يدافع به عن نفسه مستبدلاً إياه بألة العزف والموسيقى ، وذلك عن طريق الكناية .

وفي قصيدة (شاهد التاريخ) يصور الشاعر حال الأمة الإسلامية وقد تأخرت عن موكب الأمم التي تقدمت وازدهرت ، بحال الروبى وقد نبتت فيها البستان وزينتها الزهو ومن بين هذه الروبى تظهر واحدة جدباء يقول[٢]:

أزهرت كل الرُّبي من حولها ∴ وهي في جدب الأسى لم تزهر

نلحظ في البيت بجانب اعتماد الشاعر علي علاقة المشابهة في رسم صورته ، وجود عنصر الإيحاء الظاهر في وصف الجدب بالأسى ، وهذا التعبير أكسب الصورة قدراً من الإشعاع والإيحاء بما يجول في نفس الشاعر من الحزن والذهول .

ويقول الشاعر – أيضاً– من قصيدة (لا تريقي الصبر)[٣]:

لا تريقي الصبر فالليل الذي ∴ طال بالأمة يتلوه الصبح

(١) القدس أنت / ٩١
(٢) القدس أنت/ ١٣٧
(٣) القدس أنت / ١٩٢

في البيت نلحظ توظيف الشاعر لعنصر التجسيد بجانب التشـــابه الحسي المأخوذ من الكتابة ، فالليل كناية عن الواقع الأليم الذي تحياه القدس والأمة الإسلامية والصباح كناية عن الصحوة والرجوع مـــرة أخرى إلي حياة العزة والكرامة ، أما التجسيد فظاهر في مطلع البيت حيث جسد الشاعر الصبر في صورة محسوسة تجـــاوز بـــه مجـــرد التشابة ليعبر من خلاله عن الإفصاح يمنكنون نفسه الدفين ٠

والصورة في مجملها تعكس حالة اليأس الشديد الذي بلغ مـــداه حتى سيطر الليل علي مشاعر الناس ، وعلي حافة هذا اليأس يظهر من بعيد من يبشر بطلوع الصبح ووجود الأمل .

(٦) **الصورة في إطار الرمز** :

" الرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التـــي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشـــاف رســـائل تعبير لغوية ، يثرى بها لغته الشعرية"(١)٠

ومن الصور الرمزية في شعر الدكتور عبد الرحمن العشـــماوي قصيدة (اكسرو هذه السلاسل) يقول فيها (٢) :

١ـ في طريق الحزن

٢ـ واجهت فتاة مسلمة

٣ـ تحمل الطفل الذي يحمل أعلي الأوسمة

٤ـ لم يكن يبكي

٥ـ ولا لامست الشكوى فمه

---

(١) د. علي عشرى . عن بناء القصيدة العربية الحديثة / ١١٠
(٢) القدس أنت / ١٧٥

٦ ـ غير أني – وأنا أنظر –

٧ ـ أبصرت علي الثوب دمه

٨ ـ حينما سلمت ردت

٩ ـ وهي عني محجمه

١٠ ـ واستدرت وأنا أسمع بعض الغمغمة

١١ ـ وسؤالاً كاد يجتاح مدى سمعى

١٢ـ " لمة "

١٣ـ والصدى يرتد من كل الزوايا المظلمة

١٤ـ صارخاً في وجه إحساسي

١٥ـ " لمة " ؟

١٦ـ عجباً ، من أنت يا هذي ، وماذا تقصيدين

١٧ـ ولماذا تحجمين ؟ !

١٨ ولماذا هذه العقدة

١٩ـ تبدو في الجبين ؟

٢٠ـ حينها أبصرت برقاً ..

٢١ـ وغزاً سمعى رنين

٢٢ـ وكأني بنداء جاء ممزوجاً بأصوات الأنين

٢٣ـ هذه القدس

٢٤ ـ أما تبصر آثار السنين

يشعر القارئ للواهلة الأولى أن الشاعر يتحدث عن فتاة حقيقة، تحمل طفلاً عليه آثار دماء ، وقد صعب الرمز وجود الحوار القائم بين الشاعر وهذه الفتاة والأبيات من الأول إلي الثاني والعشرين تعكس هذه الصورة الحقيقة ومع البيت الثالث والعشرين يدرك القارئ أن الفتاة ليست حقيقية وإنما هي رمز للقدس أسقط عليها الشاعر معانٍ مجردة ، وقد أدى هذا الإسقاط إلي لتزاوج بين الفتاة بما أصابها من الظلم والقهر والقدس وما أصابها من العدوان والحزن .

وفي قصيدة (القدس أنت) نلحظ الصورة الرمزية الدالة علي عمق التجربة لدى الشاعر فالرمز لم يشف عن مدلولة إلا بعد أن أندمج الشاعر في معطيات الرمز حتى أصبح وكأن حقيقة لدى القارئ. يقول(١):

عصف الرصاص بأمها وأبيها ∴ وبزوجها الغالي وكل بينها
نثروا أمام الدار مخ صغيرها ∴ " وتفننوا " في صنع ما يؤذيها
هدموا منازلها ولم يدعوا لها ∴ داراً لها في أرضها تؤويها
سرقو عباءتها وأرخوا حاجزاً ∴ يخفي عن الأنظار مغتصبيها
صاحت وصاح إباؤها وعفافها ∴ وبكت ، ولكن عند من يبكيها
لما أفاقت من دوار جراحها ∴ وتوقفت طلقات من يرميها
نادت ، ولم تسمع مجيباً ، إنما ∴ سمعت صدى من صوتها يشقيها

وبعد أن حكى الشاعر ما أصاب الشخصية الرامزة من آلام وأحزان، في أكثر من سبعة عشر بيتً، قال ملتفتاً إلي الرمز(٢):

من أنت؟ واتفتت إلي وصمتها ∴ منى – برغم جفافها – يدنيها
من أنت؟ واشتعلت علي أهدابها ∴ نظرات حزن كاللظي تصليها
من أنت ؟ وانطفأت شموع حديثها ∴ مثل إنطفاء اللحن من شاديها
أنا وجه أرملة ، وعين يتمية ∴ وفؤاد ثكلي ، بؤسها يطويها
أرأيت كيف تجمعت في قصتي ∴ صور الأسى، حتى بكى روايها ؟!

(١) القدس أنت / ٨ وما بعدها
(٢)السابقة / ١٠ وما بعدها

أنا من أسمى "القدس" كيف نسيتني ∴ أنسيت أرملة شكى شاكيها

وهكذا في الصورة نلحظ أن الشاعر عند قرائه الأبيات الأولى من بداية القصيدة – يتحدث بالفعل عن حكاية إمرأة فقدت كل غالٍ عليها وتبدلت ملامحها بسبب ما أصابها من هدم المنازل وذهاب الأحباب ، وقد كانت تعيش في ظلال وسعادة حتى امتدت إليها هذه اليد القاسية وظل الشاعر يحكي عن هذه المرأة وهو تتجرع مرارة الحزن والأسى لمصابها وعندما نظر إليها لم يعرفها حتى أفصحت هي عن نفسها ، فإذا هي القدس هذه المدينة الإسلامية التي تضم ثالث الحرمين (المسجد الأقصى) ٠

وهذه الصورة تعطي دلالات كثيرة فقد ظهرت القدس في صورة إنسان له مشاعر وأحاسيس ، استوعبت رؤية الشاعر بكل أبعادها، كما نلحظ الصورة في القصيدة بلغت قدر من التركيب والتجريد تكاد تزول معها الحدود بينها وبين الرمز ٠

الفصل الثاني

التشكيل الأسلوبي

تمهيد

- **التشكيل الأسلوبي** :

تعد اللغة في العمل الشعري من السمات الأساسية التي تدل علي صاحب النص ، " فهي الأداة الأولى للشاعر – وللأديب عموماً – أو لنقل إنها المادة الأولى التي يشكل منها وبها بناءه الشعري بكل وسائل التشكيل الشعري المعروفة ، أي أنها الأداة الأم التي تخرج كل الأدوات الشعرية الأخرى من تحت عباءتها ، وتمارس دورها في إطارها"(١) ونتيجة لهذا الدور الهام الذي تقوم به اللغة في الإبانة عن المشاعر الكامنة داخل صاحب النص، فالشاعر إذاً مطلوب منه "أن يكون له ميسم ذاتي وطابع شخص يدمغ به كل عمل يخرج من بين يديه، فيلمسه القارئ في كل أعماله"(٢) وإذا اهتدى القارئ إلي الحالة الشعورية التي عاناها الأديب عند كتابته للنص فبذلك يكون وفق إلي بلوغ الدقة في اختياره للألفاظ ، فهو إذاً " يختار من الكلمات أدقها في أداء المعني الذي يجول في نفسه فقد تتقارب الكلمات من حيث المعنى ، ولكن بعضها أدل علي إحساس الشاعر من بعض والشاعر الموفق هو الذي يهتدي إلي الكلمة التي تكون شديدة الإبانة عما يريد"(٣).

---

(١) د. علي عشري زايد . عن بناء القصيدة العربية الحديثة / طبعة أولى ١٩٧٨م مكتبة دار العلوم

(٢) سيد قطب . النقد الأدبي أصوله ومناهجه / ٢٣ دار الشروق طبعة ٦ ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

(٣) الدكتور . أحمد بدوي . أسس النقد الأدبي عند العرب / ٤٥٢ دار النهضة المصرية.

والألفاظ من حيث كونها المادة الأولى التي يستخدمها الشاعر في تشكيل عمله الأدبي ، تختلف في تكوينها الأسلوبي عنها في أي عمل آخر لأن القصيدة .

من حيث هي عمل فني ليست إلا تشكيلاً خاصاً لمجموعة من ألفاظ اللغة ، وهو تشكيل خاص ، لأن كل عبارة لغوية ، سواء أكانت شعرية أم غير شعرية ، تعد تشكيلاً لمجموعة من الألفاظ ، لكن خصوصية التشكيل هي التي تجعل للتعبير الشعري طابعة المميز"[1].

والدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي من شعراء العرب المحدثين الذين عاشوا تجارب متعددة إلا أن أقواها عند شاعرنا هي تلك التجربة المتعلقة بالمسجد الأقصى ، وقضية الشعب المسلم في فلسطين ، ومن خلال ديوانه (القدس أنت) نحاول الوقوف على بعض الظواهر التعبيرية البارزة ، والخط الأسلوبي الذي تميز به هذا الديوان .

- **أولاً: الإيحاء :**

لا تنتهي وظيفة اللغة الشاعرة مع دلالتها المعنوية للفظة أو العبارة ، لكن يضاف إلي هذه الدلالة البنائية البحتة دلالات أخرى في نفس القارئ أو السامع هذه الدلالة تعد ظلالات وإيحاءات للكلمة أو مجموعة كلمات ، ومن ذلك علي سبيل المثال قول الشاعر عبدالرحمن العشماوي في قصيدة "أسرج شموخك يا بطل"[2].

(١) د. عزالدين إسماعيل. التفسير النفسي للأدب / ٤٩ طبعة ٤ مكتبة غريب ١٩٧٧م .
(٢) القدس أنت / ٢٠-٢١ .

سـلم علـي الطفـل الـذي عـزف الحجـر
وعلـي الفتـى البطـل الـذي
رفضـت خطـاه المنحـدر
وعلـي الـذين تمنطعـوا بـالموت
يرتقبـون ميـدان الفـداء المنتظـر

نلحظ في النص استخدام الشاعر للجمـل (عـزف الحجـر – تمنطقوا بالموت – يرتقبون) ففي الجملة الأولى يسـتخدم الشـاعر كلمة (عزف) وهي في موضعها توحي بارتباط الطفـل المناضـل بالحجر وحبة له ، حتى جعل منه أداة عزف ، والعبارة نفسها توحي – أيضاً – بأن الحجر في يد الطفل يأخذ طبيعة أخـرى فهـو – أي الحجر – يسعد لكونه أداة في يد الطفل البطل ، ومن ثم غنى عازفـاً في يده ، ويؤكد ذلك المعنى جملتـا(تمنطقـوا بـالموت ، يرتقبـون) فالأولى توحي بالرضي في استقبال الموت وكأنهم حاكوا منه رداءً ، وطواعية وحباً خلعو علي أنفسهم هذا الرداء ــ كما توحي الجملة – أيضاً – باحتواء الموت لهم وكأنه يحوطهم من كل جانب لشـجاعتهم وخوضهم غمار المواجهة وهم في الوقت ذاته لا يرهبونه .

والإيحاء المأخوذ من ظلال الجملة الثانية (يرتقبون) يؤكد ذلك، فهي توحي بمعاني الثبات في الميدان وانتظار العدو في أي وقت .

وفي قصيدة (آه يا إيمان) يستخدم الشاعر أصوت المد لتلقـي بإيحاء الفجيعة. يقول[1]:

دمـك الغـالي بيـان صـارخ ∴ فـارفعي الصـوت وقـولي للجميـع
يا ضياع العدل في الأرضي الـتي ∴ ترتضـى أن يقتـل الطفـل الرضـيع

في البيتين نلحظ المد في الكلمات (بيان، صارخ ، يا ، ضـياع) وكلها ذات صوت عالٍ ممدود نتيجة لأمر عظيم قد وقع ، وقد أشـار إليه الشاعر في الشطر الثاني من البيت الثاني .

(١) القدس أنت / ١١٦

وفي قصيدة (القدس أنت) نلحظ إيحاء الحرف الممدود،يقول[١]:

صاحت وصاح إباؤها وعفافها ∴ وبكت ولكن عند من يبكيها

في البيت نلحظ المفارقة بين شطريه ففي الأول حروف المد وهي تعمل علي طول أوقات الألم مع إيحائها بهذا الصراع الداخلي عند مواجهة المعتدين وإظهار الإصرار والقوة ، ومع بداية الشطر الثاني نلحظ اختفاء حروف المد ذات الصوت الطويل واستخدام كلمة (وبكت) الخالية من حروف المد ليعطي ذلك نوعاً من المفارقة في النطق بين حالتين ، حالة المواجهة ضد المعتدين ، وحالة الاستكانة والرجوع إلي السكون النفسي وهدوئها ، ففي البيت إيحاء بأن الصمود والمواجهة ممتد ومستمر لا نهاية له ، وهو – أيضاً – يوحي بالألم والحسرة مع السكون والخلو مع النفس .

وفي قصيدة (آه يا إيمان): [٢]نلحظ الإيحاء الدال علي حالة نفسية خاصة ، يقول[٣]:

ترضع الطفلة من ثدي الأسى ∴ في مساءٍ فاقد معني الهجوع

نلحظ في البيت قوة الإيحاء المأخوذ من ظلال جملة (ترضع الطفلة من ثدي الأسى) وفيها مزج الشاعر بين المتناقضين (فالثدي) الذي يرضع يكون مصدر خير وحب ونماء ، كما أنه حنان للطفل الرضيع ، أما هنا فقد جعل منه الشاعر مصدراً للأسى والحزن ، فقد جعله الشاعر موصوفاً بالقسوة و(الأسى) في البيت خاصية من خصائص ذلك الثدي ، فكأن الشيء هنا يعانق نقيضه ويتفاعل معه وفي ذلك إيحاء عن الحالة النفسية والأحاسيس الغامضة التي تتعانق

---

(١) القدس أنت / ٨

(٢) هي طفلة فلسطينية ماتت تحت نيران العدو الصهيوني ٠

(٣) القدس أنت / ١١٢

في نفس الشاعر ، وهكذا يبرز الإيحاء عن طريق المزج بين المتناقضات مشاعر وأحاسيس مع الرؤية الداخلية لدى الأديب .

وفي قصيدة (القدس أنت) يقول[1]:

بالأمس جاء الليل وهي سعيدة ∴ واليوم ظلمة فجرها تشقيها

في البيت نلحظ الإيحاء عن طريق المزج بين (الظلمة) و(الفجر) حيث أضاف الظلمة إلي الفجر ، وأفاد هذا التركيب معاني كثيرة تتولد في نفس السامع ، فهل أصبح طلوع الفجر من عوامل الشقاء ؟ ولماذا أضيف الظلام إلي الفجر ؟ تساؤلات توحي بمعاني لدى السامع ، أقرب ما يجول في خواطر السامعين أن الليل ممتد ولا نهاية له ، كما توحي – أيضاً – بالياس والملل فطلوع الصبح لا نجد فيه الخروج من ظلم المختل وعدوانه .

ويقول من قصيدة (أم عصام)[2]:

مرت الأيام حبلى بالمآسي

فوصف الأيام بكلمة (حبلى) توحى بثقل مرورها وتعثر الناس في حوادثها وما فيها من آلام ، وزاد من مرارة هذا الإيحاء كلمة (المأسي) كل هذه الألفاظ أعطت إيحاءاً جسد تجربة الشاعر وصدق عاطفته .

- **ثانياً: التكرار:**

التكرار من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دوراً تعبيرياً واضحاً ، فتكرار لفظة ما ، أو عبارة ما ، يوحي بشكل

(١) القدس أنت / ١٠
(٢) القدس أنت / ١٠٦

أولى بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه علي فكـرة الشـاعر أو شعوره " [1] والتكرار وإن وجد في شعرنا العربـي القـديم بصـوره المختلفة إلا أن النقاد القدامى لم يتحدثوا عنه حديثهم عن المقـاييس الأخرى ، ويؤكد ذلك ما قالته الناقدة نازك الملائكة في كتابها قضـايا الشعر المعاصر " علي الرغم من أن التكرار كان معروفاً للعرب منـذ أيام الجاهلية الأولى، وقد ورد في الشعر العربي بين الحين والحين، إلا أنه في الواقع لم يتخذ شكله الواضح إلا في عصرنا . وقد جاءت علي أبناء هذا القرن فترة من الزمن عدو خلالها التكرار في بعـض صوره لوناً من ألوان التجديد في الشعر"[2].

وفي ديوان (القدس أنت) للشاعر عبد الـرحمن العشـماوي نلحظ وجود بعض صور التكرار التي تعددت أشكاله بتعدد التجـارب الشعرية ، والظروف النفسية التي مر بها الشاعر ، ومن ذلك تكرار بنية الاستفهام (مَنْ أنت ؟) .

في قصيدة (القدس أنت) ، يقول [3]:

من أنت . والتفتت إليّ ، وصمتها ∴ مـني – بـرغم جفافهـا – يـدنيها
من أنت ؟ واشتعلت علـي أهـدابها ∴ نظـرات حـزن كـاللظي تصـليها
من أنت ؟ وانطفأت شموع حديثها ∴ مثـل انطفـاء اللحـن مـن شـاديها

نلحظ في الأبيات تكرار بنية الاستفهام (من أنت) في مطلع كل بيت والتكرار هنا يدل دلالة مباشرة علي عمق التجربة لدى الشاعر ، حيث جسد بالاستفهام صورة الأقصى وكأنه إنسان يبادله الحديث وقد أكد التكرار إرادة الشاعر لهذا التجسيد ، والاستفهام هنا فـي غيـر

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة /
(٢) قضايا الشعر المعاصر/ ٢٦٣ دار العلـم للملايـين طبعـة ٨ ، ١٩٨٩م.
(٣) القدس أنت / ١٠

معناه الحقيقي ، فليس المراد جواباً بقدر إرادة الاستنكار لرؤية وجه الأقصى وقد ملأه الحزن والحسرة علي ما يعانيه من آلام الأسر ، وظلم الناس له ، والتكرار هنا يعكس بوضوح سيطرة هذا المعنى وإلحاحه علي الفكر والشعور .

وفي قصيدة (أسرج شموخك يا بطل) يكرر الشاعر حرف الجر (من) في مطلع كل سطر ، يقول[1]:

أواه منك ومن هواك
من رحلة العبث التي قتلت خطاك
من لوثه الوهم التي اختطفت رؤاك
من ألف أغنية تصيبك بالخدر
من غفلة تسرى بقلبك في سراديب الخطر

نلحظ تكرار لفظ (من) في مطلع كل سطر ، مما يرحي بتركيز الشاعر علي ما بعد اللفظ المكرر كلُ علي حده ، ويؤكد ذلك ترك الشاعر العطف فلم يعطف هذه الأسطر بعضها علي بعض ، فكان كل سطر يحمل من أسباب التأوه والحسرة ما يكفي لأن يثقل النفس بالهموم والحسرة علي الواقع في أرض القدس . وفي القصيدة نفسها يكرر الشاعر الاستفهام (أو ما ترى ؟) يقول :

أو ما ترى غيث البطولة ..
في ربي الأقصى هطل ؟
أو ما ترى الطفل الذي
صعد الشموخ وما نزل ؟
أو ما ترى أم الشهيد
تصوغ ملحمة الأزل ؟
أو ما سمعت حصان أطفال الحجارة
قد صهل ؟
أو ما ترى جيلاً يخوض البحر في ثقة
ويخرج منه مبتهج البلل ؟

(١) القدس أنت / ١٦

في النص نلحظ تكرار بنية الاستفهام (أو ما ترى ...؟) وفيه إلحاح من الشاعر علي لفت الأنظار والأذهان إلي وجود المقاومة والنفوس الأبية ، رغم محاولة الأخر طمس معالمها ومحو صورها ، كما فيه إثارة لروح الصمود وتفعيل المقاومة مع الإحساس العاطفي تجاه أبطال المقاومة ، كما أفاد التكرار إظهار صور المقاومة وتعدد أساليبها

وفي قصيدة (من جعفر الطيار إلي نصر جرار) نلحظ تكرارا الشاعر لظرف المكان (هناك) . يقول [1]:

النور الساطع يا جعفر من أرض الإسراء
فهناك ملاحم تجري وإباء
وهناك بطولات الأبناء يباركها الآباء
وهناك رجال يقتحمون الموت علي " زغردة " نساء
وهنالك غارات هو جاء
وهنالك أنهارٌ دماء

يستدعي الشاعر في القصيدة ما كان في غزوة مؤتة من بطولات وقفت صامدة .

وفي وجه الكفر ، ليكون هذا الاستدعاء مثلاً لكل المقاومين الصامدين في وجه الطغيان ، ولما كان الواقع العربي المعاصر – بما فيه من يأس واستكانة – قد تناسي ماضيه الذي سلف وما فيه من صور مشرقة للبطولة والفداء ، عمل الشاعر علي إظهار صور الحرية والإباء من خلال تكرار ظرف المكان (هناك) فهو هنا يعظم ما في التاريخ من بطولات وإحداث ، كما أظهر التكرار مدى سيطرة التاريخ الإسلامي لما فيه من عزة الدولة الإسلامية علي وجدان الشاعر .

---

(١) القدس أنت / ٧٢

وفي قصيدة (اكسروا هذى السلاسل) نلحظ تكرار حرف النداء، والمنادي (يا صغيراً) يقول [1]

يا صغيراً مات في عمر الزهور
يا صغيراً ضم في جنبيه ..
وجدان الكبير
يا صغيراً واجه الرشاش
مرتاح الضمير
يا صغيراً مد عينيه لجنات وحور
يا صغيراً سجلت أشلاؤه أسمى حضور
أنت رمز للمعالي يا صغيري

نلحظ تكرار حرف النداء (يا) مع المنادي (صغيراً) وهنا نسمع بوضوح توالي الصرخات وتعالي الآهات من الشاعر بتكراره حرف النداء ، فالتكرار ضاعف من صرخاته وآهاته حتى يصل إلي أعلي صوت في السطر السابع ، وفي السطر الثامن تهدأ حدة الانفعال ولذلك تأخر أسلوب النداء ، وأضيف " صغير " إلي ياء المتكلم . كما نلحظ أيضاً في التكرار هنا لفت الأنظار إلي ما يحمله الأطفال في القدس من قضية المقاومة والإحساس بها . وبعد عرض صور التكرار في شعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي من خلال ديوان القدس أنت نلحظ أن استخدام التكرار بكثرة لكن هذه الكثرة جاءت علي صورة واحدة ، فقد غلب استخدام الشاعر من أنواع التكرار النوع البسيط منه أو التكرار البياني / ولم نجد لديه التكرار المعقد الممزوج بصور تشكيلية أخرى غير بعض قصائد قليلة منها قصيدة (اكسروا هذه السلاسل) حيث مزج بين التكرار والإيحاء ، كما نلحظ بوضوح تكرار الشاعر لبنيه الاستفهام كما في قصائد (من

(١) القدس أنت / ١٧٨

أنت – أسرج شموخك يا بطل – يا فارس الحجر الأشم) وفيها يقول[1]:

من أين جئت ؟ أكاد أحلف أنني ∴ أبصرت أن سواك عندك يصغر
أمن البراءة وهي أجمل لوحة ∴ أبرزتها وبها شموخك يظهر ؟
أمن الأسى وبه فؤادك يطصلى ∴ مما جنى الباغي الذي يتجبر ؟

- **ثالثاً: الاقتباس والضمين :**

من الخصائص الإسلوبية في شعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي استخدامه أسلوب الاقتباس ، فقد ورد في ديوان " القدس أنت " علي أشكال متعددة حيث تأثر بالقرآن الكريم كما في قوله من قصيدة (الطريق إلي الأقصى) [2]:

وأنا أنذر قوماً غفلوا ∴ وتماروا – ويحهم – بالنذر

ففي الشطر الثاني نلحظ تأثر الشاعر بالآية السادسة والثلاثين من سورة القمر، قال تعالي:" **ولقد أنذرهم بطشتنا فتمارو بالنذر)**

ويقول الشاعر من قصيدة (سفينة الأمة)[3] :

فرطت الأمة فيما مضى ∴ واستسلمت للشانئ الأبتر

فقول الشاعر (الشانئ الأبتر) كناية عن كل مجرم معاند يحارب الإسلام والمسلمين وقد استدعي الشاعر هذا الوصف من سورة الكوثر ، حيث وصف الله – تعالي – عدو الإسلام والمسلمين أبا جهل به ، قال تعالي : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ .

(١) القدس أنت / ١١٨
(٢) القدس أنت/ ٨١
(٣) القدس أنت / ٩٢

وفي قصيدة (يا فارس الحجر الأشم) يقتبس الشاعر من القرآن الكريم بعض الصفات الواردة في بنىإسرائيل. يقول الشاعر[1]:

سل ذلة ضربت عليهم ، بعدما ∴ كفروا بما شرع الإله وغيروا
سل ذلك البحر الذي أضحى لهم ∴ رهواً ، فلما جاوزوه تنكروا
سل قولهم " اذهب وربك قاتلا " ∴ ما بالهم نطقوا به واستكبروا

في الأبيات نلحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم حيث أقتبس منه بعض ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل ، كما في قوله تعالي " وضربت عليهم الذلة والمسكنة .." الآية[2] .

وقوله تعالي : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [3] وقوله تعالي : ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [4].

كما نلحظ أسلوب القسم المقتبس من سورة يونس في قوله تعالي : ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ حيث أقتبس الشاعر أسلوب القسم ، فقال[5]:

لست أدري – أي وربي – لست أدري ∴ ما الذي يجعل ذهن الصخر يفهم

ومن أشكال التضمين عند شاعرنا ، وجود بعض الأساليب الموروثة عن شعراء العربية القدامى في شعره ، يقول[6]:

---

(١) القدس أنت / ١١٩
(٢) سورة البقرة / آية / ٦١
(٣) سورة الدخان / آية / ٢٤
(٤) سورة المائدة / آية / ٢٤
(٥) القدس أنت / ٢٠٠
(٦) القدس أنت / ٢٢٤

ماذا يقـول الشـعر عنـك وأمـتي ∴ كـالعيس في البيـداء يقتلـها الظّمـا

فالشاعر هنا متأثر ببيت الشاعر الجاهلي دريد بن الصمة حيث قال:

وأشد ما لاقيت من ألـم الجوى ∴ قـرب الحبيـب ومـا إليـه وصـول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما ∴ والمـاء فـوق ظهورهـا محمـول

- **رابعاً: بنية الحوار والسرد :**

١) بنيـة الحـوار:

البنية الحوارية تعد من الأساليب المتعلقة ببناء الشعر المسرحي وقد يستخدم الشاعر الغنائي هذه البنية دلالة علي تعـدد الأصـوات والشخصيات داخل القصيدة الغنائية ، وبدراسة ديوان القـدس أنـت للشاعر عبد الرحمن العشماوي وجدت له بعض القصائد استخدم فيها هذه البنية ومن ذلك قصيدة (القدس أنت) يقول فيها[١] :

١ـ من أنت ؟ والتفتت إلي وصمتها ∴ منـى – بـرغم جفافهـا يـدنيها
٢ـ من أنت؟ واشتعلت علي أهدابها ∴ نظـرات حـزن كـاللظي تصـليها
٣ـ من أنت؟وانطفأت شموع حديثها ∴ مثـل انطفـاء اللحـن مـن شـاديها
٤ـ أنا وجه أرملـة ، وعـين يتميـة ∴ وفـؤاد ثكلـي بؤسـها يطويهـا
٥ـ أرأيت كيف تجمعت في قصـتي ∴ صـور الأسـى حتـى بكـي راويهـا
٦ـأنامنأسمى"القدس"كيف نسيتني ∴ أنسـيت أرملـة شـكى شـاكيها

في النص نلحظ صوتين : الأول صوت الشاعر وقد تألم كثيـراً لما أصاب القدس – تلك المدينة العربية الإسـلامية – مـن خـراب ودمار بدل ملامحها حتى بدت كالغريبة في عين أحبابها ، والشـاعر يجسد المدينة في صورة المرأة التي فقدت أهلها ، وقد خرجت مـن تحت الركام تشقى في ظلام أسود ، وإليها يوجه الشاعر سؤاله مـن أنت ؟ استنكاراً أن تكون هذه الملامح ملامحها وإشفاقاً عليهـا لمـا

(١) القدس أنت / ١٠

أصابها ، وتبدو البنية الحوارية من دلالة السؤال ، ثم وجود الجملة الفعلية (التفتت) والسؤال هو صوت الشاعر ، جاء جوابه متأخراً في البيت الرابع (أنا وجه أرملة ..) .

وفي قصيدة (من جعفر الطيار إلي نصر جرار) نلحظ وجود حوار بين الشاعر – وهو يتحدث عن القدس وما أصابها في عصرنا الحاضر – وبين شخصية جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – قائد المسلمين في غزوة مؤتة ، يقول[١]:

- عمن تتحدث يا راوي الخبر الأسود ؟[٢]
- أتحدث يا جعفر عن جيش يهود عربد
- سلب الأقصي ، أبعد ، شرد
- هل تعني إخوان قرود
- هذا خبر يدمي القلب ورب الناس
- كيف تركتم أرض المحشر للأنجاس ؟

وفي قصيدة (رامي) [٣] التي استوحاها الشاعر من هذا المشهد الدامي ، حيث كان الطفل يختبئ خلف والده خوفاً من نيران اليهود في فلسطين والأب يحاول حماية ابنه ، وعلي الرغم من ذلك فقد قتل الصهاينة الطفل بين يدى والده الجريح ، وهذه الصورة المأساوية هي التجربة التي خرجت علي إثرها تلك القصيدة يقول فيها[٤]:

---

(١) القدس أنت / ٧٣

(٢) الخبر الأسود كناية عما تقدم في القصيدة من حكايات دامين عن القدس المعاصرة

(٣) للشاعر قصيدة أخرى بعنوان (هو رامي أو محمد) فقد بعث إليه بعض من سمع القصيدة تصحيح الاسم حيث إن اسم الطفل محمد الدرة وليس رامي .

(٤) القدس أنت / ١٨٥ وما بعدها

١ـ يـا رامـي اجلـس يـا ولـدي ∴ وتجنـــب قصفهـــم الدامـــي
٢ـ يا رامي .. اجلس مـن خلفـي ∴ وتتـــرس منهـــم بعظامـــي
٣ـ اجلـس يـا ولـدي مـن خلفـي ∴ لا تنهـــض فالمـــوت أمامـــي
٤ـ طلقـات رصـاص.... يا أبتى ∴ اسـكت – يـا ولـدي – يـا رامـي
٥ـ أفـديك بروحـي يـا أبتـى ∴ اسـكت – يـا ولـدي – يـا رامـي
٦ـ أحميـك بجسـمي يـا أبتـى ∴ اسكـت ، فـالله هـــو الحامـــي
٧ـ احذر يا ولـدي قـد فتحـوا ∴ رشـــاش الحقـــد المتنامـــي

نلحظ في الأبيات الحوار القائم بين صـوتين ، صـوت الأب وهـو يحاول حماية ولده من نيران اليهود، وذلك في الأبيـات الثلاثـة الأولـى، وفيها – أيضاً – نلحظ أسلوب الحنان والشفقة،وفي البيت الرابـع نلحـظ صوت الابن وهو يستنكر وجود طلقات رصاص تحيط بهما ، ثـم صـوت الأب وهو يطلب من ولده السكوت خوفاً عليه ، ثم يعلو في البيت الخامس صوت الابن الشجاع الذي يظهر لوالده مدى حبه له فهو يعرض عليـه أن يفديه بروحه وأبوه يكرر عليه طلب السكوت والصمت، وهكذا كان الحوار الذي تخيله الشاعر من هذا المشهد الدامي ٠

٢ـ بنيـة السـرد :

هذه البنية من مكونات القصة ، يستدعيها الشاعر أحياناً لعمـل ما يشبه القصة الشعرية ، وهذه العلاقة الكائنة بين الشعر والأسلوب السردي لم تكن وليدة العصر لحديث أو المعاصر ، لكنها قديمة قـدم الشعر ، لكنها أخذت في الاتساع في العصر الحديث حيث انفتح الشعر الغنائي علي الحكاية ، وانعدمت المسافات بين كـلُ مـن الـدرامي والغنائي ، والسردى وأخذت الأجناس الأدبية تتبـادل مـع بعضـها البعض تقنيات عديدة .

وفي شعر الدكتور صالح العشماوي نجد البناء السـردي فـي بعض قصائده ، يقول من قصيدة (أم عصام) [١]:

كـان يرمـى حجـر العـزة صـوب الأدعيـاء
ودعت من قبل أسبوع أبـا الطفـل وداع العظمـاء

(١) القدس أنت / ١٠٧

ودعـــــت مـــــن قبـــــل عـــــامين
أخـــــآ واجـــــه جيـــــش الـــــدخلاء
وعلـــــــي بوابـــــــة المجـــــــد
رأت وجـه أبيهـا قبـل أعـوام كشـلال ضـياء
كـان عيـدآ حينمـا انضـم لركـب الشـهداء
كـان يومـآ باسمـآ بـالرغم مـن حـزن الفـراق
كـان يومـآ حـافلآ يـوحي بمعنـى الإنطـلاق
صـــرخت أم عصـــام في صـــمود واعتـــداد
هـــــا هنـــــا .....
تنطفـــيء الأضـــواء مـــن حولـــي
ســـوى ضـــوء الرشـــاد
تسكـت الأصـوات لا يبقـى سـوى صـوت الجهـاد

في النص نلحظ وجود المكونات الأساسية للبنية السردية، (فالراوي) هو الشاعر يحكي قصة امرأة مجاهدة في فلسطين قدمت إلي ساحة النضال زوجها وابنها ، كما ودعت من قبل أخاها ، والمروى له هو جمهور القراء أو جموع المسلمين . وساعد علي وضوح البنية السردية استخدام الجمل الفعلية (كان ... يرمى ... ودعت ... رأت ... صرخت ... تنطفئ ... تسكت ... يبقى ...)٠

وفي قصيدة (هو رامي أو محمد) نلحظ بناء الشاعر القصيدة كلها علي الشكل السردي ، حيث جعلها حكاية اعتمد فيها علي مجرد الوصف للأحداث ، يقول فيها[1]:

هـــــو رامـــــي أو محمـــــد
صـــورة المأســـاة تشهـــد
أن طفـــلآ مســـلمآ في ســـاحة المـــوت تمـــدد
أن جنـديآ يهوديـآ علـي الساحـة عربـد
وتمـــادي وتوعـــد
ورمـــى الطفـــل وللقتـــل تعمـــد
مـــات رامـــي أو محمـــد

(١) القدس أنت / ١٤٠

مـــات فـــي حضـــن الأب المسكيـــن
والعالـــــم يشهـــد

في النص نلحظ موزانة الشاعر بين الفردية الغنائية ومشـاعر الشخصيات داخل النص بحيث تتوافق مشاعر الأب والابن مع شعور الراوي ، ويعد الواقع الفلسطيني وموقف البلاد العربية حوله الـدافع الأول وراء تجربة الشاعر وأحاسيسه الفنية .

وفي قصيدة تفاصيل الحدث ، يقول[1]:

فـــي طريـــق الحـــزن
واجهـــت فتـــاة مســـلمة
تحمـل الطفـل الـذي يحمـل أعلـى الأوسمـة
لـــم يكـــن يبكـــي
ولا لامســـت الشكـــوى فمـــه
غيـــر أنـــي – وأنـــا أنظـــر –
أبصـــرت علـــي الثـــوب دمه
حينمـــا سلمـــت ردت
وهـــي عنـــى محجمـــة
واســتدارت وأنـا أسمـع بعـض الغمغمـة
وســؤالاً كـاد يجتـاح مـــدى سمعـــى
لمـــه

في النص نلحظ التأمل الهادي الحزين لتفاصيل الحـدث داخـل النص السردي ، مما أتاح للـراوي فرصـة القـرب الشـديد مـن الشخصيات ، حتى بدا وكأنه شخصية داخل النص ، ويظهر ذلك فـي قوله " حينما سلمت ردت ...." .

- **خامساً: استرفاد التراث :**

بدارسة ديوان (القدس أنت) للشاعر عبـدالرحمن العشـماوي، وجدت أنه لم يسترفد من التراث إلا ما كان منبعه التاريخ الإسلامي ،

(١) القدس أنت / ١٧٥

وخاصة المدة الزمنية لتي أضاء فيها رسول الله – ﷺ – وأصحابه أرجاء الكون بنور الإسلام ، وما سطروه من بطولات وغزوات ، وذلك يناسب الموضوع الشعري للديوان ، حيث إن كل قصائده تدور حول القضية الفلسطينية الممثلة في المسجد الأقصى ، وما آلت إليه أحوال الأمة الإسلامية في هذا العصر . ومن ذلك قوله في قصيدة (نعم يا بني قومي)[1] :

فكم غدروا بالأنبياء وأسرفوا ∴ وجاروا عليهم واعتدوا وأهانوا
تذكرنا بالغدر غزوة خندق ∴ وللبغي فيها جذوة ودخان
ولولا يهود الغدر،ما استنفرت لها ∴ قريش، ولا طارت لها غطفان
أتواقوةعظمي،فعادتبكيدها ∴ وطارت علي عزف الرياح جفان

يستدعي الشاعر في هذه الأبيات موقف اليهود ودروهم في إشعال نيران الحرب بين المسلمين في المدينة المنورة وكفار قريش في مكة المكرمة ، حيث خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بنى النضير إلي قريش بمكة ، يحرضونهم علي غزو الرسول – ﷺ – ويوا لونهم عليه ، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم .. ثم خرج هذا الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلي ذلك ، فاستجاب له من استجاب ، وهكذا نجح ساسة اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب الكفر علي النبي – ﷺ [2] ثم تواصل الغدر فغدروا بالنبي – ﷺ – رغم المعاهدة في المدينة المنورة واليوم هم – أيضاً – علي الطريقة نفسها من الغدر والخيانة .

وفي قصيدة (يا فارس الحجر الأشم) يستدعى ما صنعه يهود بنى النضير وبنى قريظة في ذهن القارئ عن طريق طرح سؤال

---

(١) القدس أنت / ٢٨
(٢) صفي الرحمن المباركفوري . الرحيق المختوم / ٣٠١ دار المؤيد ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م

يتضمن الجواب عليه موقف اليهود مع النبي – ﷺ – وقد جمع ذلك في بيت واحد . يقول[1]:

سل عن يهود بنى النضير وماجنوا ∴ وبنى قريظة حين جاء المخبر؟
سل جرح امتنا العميق، أمالهم ∴ في نزفه القاسى النصيب الأوفر

في البيت الأول يستدعى الشاعر ما كان من يهود خيبر وبنى قريظة من نقض العهود بالغدر والخيانة في زمن صدر الإسلام ، ثم ما حل بهم بعد ذلك من العقاب جزاءاً لما قدمت أيديهم ، واستدعاء هذه الصورة من التاريخ يكشف أمرين الأول : ما جبل عليه اليهود من الغدر والخيانة علي مر العصور ، والثاني تعرية الواقع العربي المعاصر وتخاذله أمام هذا العدو رغم نزيف الدماء والخيانة المستمر من جانب اليهود وذلك ما نلحظ في البيت الثاني ، فالشاعر إذا ربط بين الماضي المستدعي ، والحاضر المشاهد .

ويخلع الشاعر علي أطفال الحجارة في فلسطين ثوب البطولة والعزة عندما يستدعى موقف (معوذ بن عفراء) إذ كان صبياً صغيراً ، شهد مع رسول الله – ﷺ – غزوة بدر ، وقد أصر الصحابي أن يشهد هذه الغزوة لكي ينال من أبي جهل إذ وصل إليه عن طريق أمه إيذاؤه لرسول الله – ﷺ – والشاعر يربط بين أطفال الحجارة في فلسطين وما يتمتعون به من صمود وإيمان بقضيتهم وبين هذا الصحابي الجليل عن طريق استدعاء التراث ، يقول[2]:

أيها السائل عذراً ، فأنا ∴ أبصر الأطفال من غير دروع
واجهوا الحرب كما واجهها ∴ ابن عفراء ، وسعد ن الربيع

(١) القدس أنت / ١٢٠
(٢) القدس أنت/ ١١١

نلحظ في البيتين استدعاء الشاعر لشخصيتين من التراث الإسلامي الأولى (معوذ ابن عفراء) وحادثته مشهورة في غزوة بدر، وهذه الشخصية تناسب الحديث عن أطفال الحجارة في فلسطين، والثانية (سعد بن الربيع) وهو صحابي جليل كان موقفه مع النبي – ﷺ – وجهاده الباسل في غزوة أحد ولكني أرى أن الشاعر لو استخدام إلي جانب ابن عفراء ، شخصية عمرو بن الجموح لكان ذلك أكثر مناسبة ، فقد كان عمرو بن الجموح صبياً صغيراً في غزوة بدر ، أما سعد الربيع فقد كان رجلاً كبيرً .

ويتأثر الشاعر بما قام به الشاب الفلسطيني (نصر خالد إبراهيم جرَّار) من الصمود ضد طغيان اليهود في فلسطين ، حتى ترك الدنيا بعد بتر قدميه ويده اليمنى فقد وجدوا رأسه مفصولة عن جسده تحت ركام (جنين) وهذه الصورة التي مات عليها الشاب الفلسطيني استدعت لدى الشاعر صورة الصحابي الجليل (جعفر بن أبي طالب) فتخيل أن مقابلة حدثت – هناك في الجنة – بين جعفر الطيار وخالد جرار . يقول:

١ـ من أنت؟سمعت سؤالاً يحمل لغة الإصرار
٢ـ من أنت ؟ وثار الإعصار
٣ـ من أنت ؟
٤ـ ومؤتة تشهد أن كؤوس الموت تدور
٥ـ الراية عندي الآن فلا عاش الكفار
٦ـ جيش جرار
٧ـ يزحف بالرمل وبالأحجار
٨ـ من أنت ؟
٩ـ ومؤتة تهتف باسمى ليل نهار
١٠ـ فلديها من جسدي آثار
١١ـ وأنا جعفرها الطيار
١٢ـ الحرب تمد حبائلها وأنا أتلقى الأحظار
١٣ـ الراية عندي – الآن – فلا عاش الكفار
١٤ـ اليمنى بترت (يا ستار)

١٥ـ لا بأس .. ستحملها اليسرى فأنا الغوار
١٦ـ اليسرى بترت (يا ستار)
١٧ـ لا بأس ... سيحملها صدري فأنا المغوار
١٨ـ وضممت الراية ضم المشتاق
١٩ـ وجنود الروم تسد الآفاق
٢٠ـ ورماح تخترق صدوراً..وسيوف فوق الأعناق
٢١ـ الراية لن تسقط أبداً من يحمل عني الراية؟
٢٢ـ أبشر يا جعفر هات الراية
٢٣ـ هذا ابن رواحة يحتضن الراية
٢٤ـ ويفتش عن أسمى غاية
٢٥ـ وهنالك جعفر ما زال
٢٦ـ يتساءل – والحرب تدور
٢٧ـ ما هذا النور الساطع ما هذا النور ؟
٢٨ـ وأتاه الصوت قوياً ، كالرعد القاصف
٢٩ـ لمّاحاً كالبرق الخاطف
٣٠ـ النور الساطع يا جعفر من أرض الإسراء
٣١ـ فهناك ملاحم تجري ، وإباء
٣٢ـ وهناك بطولات الأبناء يباركها الآباء
٣٤ـ وهنالك غارات هوجاء
٣٥ـ وهنالك أنهار دماء
٣٦ـ عمن تتحدث يا راوي الخبر الأسود
٣٧ـ أتحدث يا جعفر عن جيش يهود عربد
٣٨ـ سلب الأقصى ، أبعد ، شرد
٣٩ـ وعلي قتل الطفل تعود
٤٠ـ جيش يهود
٤١ـ هل تعني إخوان قرود
٤٢ـ هذا خبر يدمى القلب ورب الناس
٤٣ـ كيف تركتم أرض المحشر للأنجاس
٤٤ـ مهلاً يا جعفر لا تجزع ∴ فشموس بطولتنا تسطع
٤٥ـ النور أتاك من الأقصى ∴ ورماح عزائمنا تشرع
٤٦ـ يا جعفر يا طيار
٤٧ـ النور تدفق من أشلاء فتى مغوار
٤٨ـ لا يخشى الأخطار
٤٩ـ بتروا قدميه فطار ∴ قطعوا يمناه فتار
٥٠ـ أنبت في موضع قدميه الإصرار
٥١ـ رجموه بألف قذيفة نار ∴ دفنوة بأنقاض الدار

٥٢ـ نصرٌ يا جعفر يا طيار ∴ " نصر جرار"
٥٣ـ هذا اسم فتى الأخطار

القصيدة التي معنا من الشعر الحر ، وقد بناها الشاعر علي تعدد الأصوات ففيها نسمع الصوت التراثي المتمثل في صوت الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب – ﷺ– كما في الأبيات من الأول إلي الحادي والعشرين ثم صوت الصحابي عبد الله بن رواحه في البيت الثاني والعشرين ، ثم نلحظ بعد ذلك حواراً بين صوت معاصر يحكي ما آلت إليه القدس ، وصوت الصحابي جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – وقد وقع اختيار الشاعر علي شخصية الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب ليكون نقطة الاستدعاء من التاريخ الإسلامي ، لوجود المناسبة بين الشخصية التراثية المستدعاه ، والشخصية المعاصرة ، فكلاهما كان مجاهداً يحارب في سبيل الله هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الصورة التي توفي عليها كلُ منهما ، وقد أشار الشاعر إلي ذلك في نهاية القصيدة وهو يتحدث علي لسان جعفر بن أبي طالب ، يقول(١):

بيني وبينك ميدان الجهاد ، وما ∴ أعلاه من نسب يسمو بأحرار

وفي قصيدة (اكسروا هذي السلاسل) يستدعي الشاعر ذكريات النصر في موقعة ذات السلاسل ، وقد كانت بين المسلمين والروم بقيادة خالد بن الوليد – ﷺ– وفيها يقول الشاعر مخاطباً الأمة الإسلامية (٢):

وأعيدوا ذكريات المجد
في " ذات السلاسل "
حطموا تمثال وهم

(١) القدس أنت / ٧٧
(٢) القدس أنت / ١٨٣

ظـــــــل يبنيـــــــه اليهـــــــود

ويستدعي الشاعر موقعة (عمورية) رمزاً للعزة والكرامـــة ، وعدم الرضا بالذل والخضوع ، وهذه المعركة كانت في زمن المعتصم بالله ، الخليفة العباسي حيث استجاب المعتصم لنداء المرأة المســلمة عندما اقتحم الروم ثغراً من ثغور المسلمين واستولوا عليه وتركــوا القوم بين قتيل وأسير ، وقد كانت امرأة هاشمية بين الأسر صرخت وقالت ، وا معتصماه ، فلما علم المعتصم بأمرها قال (لبيك لبيــك) ونهض وصاح في قصره (النفير النفير) وأعد جيشاً خــرج علــي رأسه بنفسه ، وكانت موقعة عمورية نصــراً وفتحــاً للمســلمين ، ويستدعى الشاعر هذه الموقعة ليحرك ما سكن في نفوس المسلمين من غيره علي مقدسات الإسلام وعزة المسلمين . يقول[1]:

حـرك المعتصـم الجيش انتصاراً ∴ لفتـــاه صـــوتها البـــاكي تظلـــم
خاضـها معركـة كـبرى أعـادت ∴ هيبـــة في نفـس مـن خـان وأجـرم
أنضج السيف جلـود الـروم فيهـا ∴ قبـــل أن تنضـــج أعنـــاب وتصـــرم
وأرى أمتنـــا اليـــوم خنوعـــاً ∴ ثغرهـــا بـــالخوف والـــذل مكمـــم
صرفت عن صرخة الأيتـام وجهـاً ∴ وكـــأن النـــاطق المفصـــح أبكـــم

وفي قصيدة (يا فارس الحجر الأشم) يستدعي الشاعر لمحات من التاريخ الإسلامي وذلك علي لسان المسجد الأقصى يقول[2]:

أيهـا النـاس أفيقـوا ، واذكـروا ∴ صـــورة ابـــن العلقمـــي الأشـــر
واذكـروا بغـداد كيـف احترقـت ∴ حـــين كانـــت هجمـــات الـــتتر
وأسـألوا الأنـدلس المفقـود عـن ∴ طـــائر العـــزم الـــذي لم يطـــر
أيهـا النـاسُ أنـا مسـجدكم ∴ مســـجد المســـرى لخـــير البشـــر
فلكـم ذقـت الأسـى بعـد الأسـى ∴ مـــن خيانـــات الصـــليب القـــذر
وطـواني البـؤس حتـى هزنـي ∴ ذلـــك الشـــهم الأبـــي العبقـــري
أرسـل النـور إلـي أروقـتي ∴ وبغيـــث الحـــق روي شـــجري

(١) القدس أنت / ٢٠٢
(٢) القدس أنت / ١٣٣ / ١٣٤

مـا صـلاح الـدين إلا فـارس .:. شـد مـن أزري وجلـيّ بصـري

في الأبيات يستدعي الشاعر صوراً متعددة من التاريخ الإسلامي، وذلك علي لسان المسجد الأقصى ، وهو يروى علي مسامع الناس بعض صور القهر والظلم التي أصابت الأمة الإسلامية في مختلف الأزمنة والأمكنة ، فبغداد تقع تحت سيطرة التتار الغاشم ، فأخذ منها كل خير ، وغادرها كل نافع ، وعليها تولي " مؤيد الدين العلقمي " الذي عينه " هو لاكو " علي بغداد وكان ظالماً معتدياً [1] ثم تنتقل الصورة إلي الأندلس حيث دولة الإسلام التي استمرت هناك ثمانية قرون ثم سقطت بعد أن تخاذل المسلمون عن حمايتها وتفرقوا إلي أحزاب ودويلات ، ثم يستدعي الشاعر – أيضاً علي لسان المسجد الأقصى صور الظلم والأسى في زمن الإحتلال الصليبي وكيف استمر العدوان والحملات الصلبية قروناً طوال ، وأنا أعيش تحت هذا البؤس والظلم ، وفي هذا الليل البائس تظهر شخصية تاريخيه حولت وجه التاريخ إلي النور والعدل ، يظهر صلاح الدين الأيوبي وقد بعث في الأقصى الأمل وشد من أزره .

- **سادساً: من ألوان المحسنات البديعية :**

١ـ الطبـــاق :

يؤدي الطباق دوراً كبيراً في الإبانة عن المعنى بوضوح حيث يظهر صورة الضدين، وهو لون بديعي فطري من أساليب العامة والخاصة، بناءً علي ما هو مركوز في الطباع من مقارنة بين الأضداد، وموانة بين المتقابلات ، نظراً لكثرتها أمام الأنظار في مشاهد الكون ومظاهر الحياة، وصفات الخلائق علي اختلاف ألوانها،

(١) ينظر د. علي الصلابي – الماغول بين الانتشار والإنكسار / ١٩٤ طبعة مؤسسة اقرأ

وهو من الفنون التي تربط الكلام ببعضه عن طريق علاقة التضـــاد ، فالضد أقرب خطورة بالبال عن ذكر الضد [١].

وفي ديوان القدس أنت للشاعر عبد الرحمن العشماوي نلحـظ وجود صور متعددة لهذا اللون البديعي منها قوله في قصيدة (إشراقة أمل)[٢] :

ستخصب أرض الحب من بعد جدبها ∴ ويســعفها بعــد الجفــاف ســحاب

في البيت نلحظ التضاد المباشر بين (الخصب) فــي قولــه : ستخصب ، وبين الجدب في قوله : جدبها ، كما نلحظ الطبــاق بــين (الجفاف) والمعنى المقهوم من لفظ السحاب حيث الدلالة علي الرى بنزول المطر .

وقد تكررت هذه الصورة في أكثر من موضوع / فيقــول مــن قصيدة (رسالة من القضية إلي الأمة العربية)[٣]:

شعري النداء الحر والنبع الـذي ∴ يسـقى – بـرغم جفافنـا – الأشـجار

وقوله – أيضاً – في القصيدة نفسها[٤]:

وتحيل هذا الجدب خصباً ضاحكاً ∴ في أرضــكم ، وتســير الأنهــارآ

فيبين (السقيا) و(الجفاف) طباق، كما بين (الجدب) و(الخصب)، وكلها تدور حول النماء والازدهار بعد التوقف والخمود ، ولعل الحاح هذه الصورة علي الشاعر تعود إلي طبيعة الحياة في شبة الجزيــرة العربية حيث المساحات الشاسعة من الأراضي الصحراوية التي عادة

---

(١) د. الشحات أبو ستيت . دراسات منهجية في علــم البــديع / ٥٠ طبعة أولى ١٤١٤ هــ – ١٩٩٤م .
(٢) القدس أنت / ٦ .
(٣) السابقة / ١٥٦ .
(٤) القدس أنت / ١٦٥

ما يسعد أهلها نزول المطر ، وبنزوله يكون الإحساس بالخصب والنماء ، وقد اسقط الشاعر هذا الشعور علي سعادته بما يعود من نفع علي المجتمع من شعره الهادف الذي يحمل قضية هادفة .

ومن الصور التي ألحت علي شاعرنا – أيضاً– صورة لونية ، فطابق بين البياض والسواد ، وبين الليل والنهار يقول من قصيدة (قراءة في وجه امرأة شوهاء)[1] :

بيضاءُ لكنها سوداءُ قاتمة .:. لمن يراها بعين ذات تدقيق

فبين (بيضاء) و (سوداء) طباق يوحي بالحذر من تلك المرأة التي تظهر بيضاء في أعين الناس ، لكن حقيقتها علي النقيض من ذلك وفي موضع آخ نلحظ الطباق بين الألوان بطريق غير مباشر حيث طابق الشاعر بين (الليل) و (النهار) يقول من قصيدة (لا تريقى الصبر)[2]:

لا تريقي الصبر فالليل الذي .:. طال بالأمة يتلوه الصباح

فبين (الليل) بلونه الأسود، و(الصباح) بلونه الأبيض طباق، وهو هنا يوحى بوجود الأمل ، وانتظار الفرج مع وجود الشدة .

ويقول من قصيدة (الطريق إلي الأقصى)[3]:

أيها الأقصى سيطوى فجرنا .:. ليل هذا الباطل المنتشر

فبين (الفجر) وما توحيه اللفظة من صورة الإشراق والضياء ، و (الليل) وما يسد له من ظلام وسواد طباق ، يوحي – أيضاً –

(١) السابق / ٣٢
(٢) السابق / ٩٢
(٣) القدس أنت/ ٨٥

بإحياء الأمل في النفوس ، وتغير وجه الحياة من الضد إلـــي الضـــد الآخر .

ومن صور الطباق قوله من قصيدة (نعم .. يا بني قومي)[١]:

طويل اليد اليسرى ، وأما يمينه ∴ فلـــيس لهـــا في المكرمـــات بنـــان

فيبين (اليسرى) و(اليمنى) طباق أفاد ما يبين اللفظين من بون شاسع واختلاف واضح ، فالأولى كنى بها الشاعر عن الشر والغدر ، والثانية عن الخير والوفاء .

٢ـ المقابلة :

المقابلة من المحسنات اللفظية التي تكسب الأســلوب بهـــاء ، وهي لون قريب من الطباق بل هي الطباق نفسه لكـــن يكـــون بـــين الجمل ، وهي في اللغة تعنى المواجهة ، يعرفها صاحب الصـــناعتين بقوله : هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ علي وجه الموافقة أو المخالفة .

ومن الصور المقابلة في ديوان القدس أنت ، قول الشاعر مـــن قصيدة (إشراقة أمل) [٢]:

ســتار ظـلام الليـل ســوف يجـاب ∴ وتســـقى بأضـــواء الصـــباح رحـــاب
وتشدو عصافير المنى بعد صمتها ∴ ويخلـــع ثـــوب الشـــؤم عنـــه غـــراب

في البيت الأول نلحظ المقابلة بين (ظلام الليـــل) و (أضـــواء الصباح) وقد اعتمد فيها الشاعر علي علاقة التضاد بين الطرفين .

وفي البيت الثاني نلحظ المقابلة بين صورتين الأولـــى متفائلـــة حيث تحقيق الأمنيات بعد أن كانت بعيدة المنى، وذلـــك فـــي قولـــه

(١) القدس أنت / ٨٥
(٢) القدس أنت/ ٥

(وتشدو عصافير المنى بعد صمتها)، والثانية تعكس في النهاية مدلول الصورة السابقة ولكن من خلال منظر مختلف ، وذلك في قوله : (ويخلع ثوب الشؤم غراب) فقابل الشاعر بين (تشدو ويخلع) وبين (عصافير وغراب) وبين (المنى وثوب الشؤم) ٠

ويقول في قصيدة (أسرج شموخك يا بطل)[١]:

مالي أراك لبست ثوب الوهم

في عصر بمنطقة احتفل ؟

وخلعت ثوب الوعي

واستسلمت لليأس الذي يلد الملل

في الأبيات قابل الشاعر بين (لبست ثوب الوهم) و (خلعت ثوب الوعي) عن طريق التضاد بين (لبست وخلعت) و (ثوب الوهم وثوب الوعي) وقد أظهرت المقابلة هنا حقيقة الواقع الذي تحياه الأمة حيث كشفت ما بين الحالتين من تضاد .

ويقول من قصيدة (اكسروا هذي السلاسل) [٢]

يا جراح الطفل أشعلت جراحي
وقتلت البسمة الخضراء في ثغري
وأحييت نواحي

في الأبيات قابل الشاعر بين (قتلت البسمة الخضراء) وبين (أحييت نواحي) وذلك عن طريق التضاد بين المعاني في (قتلت وأحييت) وبين (البسنة الخضراء ونواحي) وقد عملت المقابلة علي زيادة الألم والحسرة في النفوس٠

(١) القدس أنت / ١٨
(٢) السابق / ١٧٧

٣ـ أسلوب اللف والنشر :

من الأساليب التي استخدمها شاعرنا في ديوان " القدس أنت" أسلوب اللف والنشر، يقول من قصيدة (يا فارس الحجر الأشم)[١]:

ضدان في الدنيا : وفاءً صادق ∴ والعهد ممن بالمعاهد يغدر
ضدان في الدنيا : سلام عادل ∴ وطبيعة الباغي الذي يتهور

فكلمة (ضدان) فسرها الشاعر بأمرين الوفاء الصادق ، والعهد ممن يتصف بالغدر كما في البيت الأول ، وفي البيت الثاني يكرر الشاعر الأسلوب نفسه وهذا الأسلوب أفاد التشويق إلي معرفة ما يحتويه اللف من معاني ، فكأن سؤالاً مضموراً في نفس السامع عند سماع لفظ ضدان ؟ ويكون النشر إجابة عن هذا السؤال .

وقد يأتي النشر قبل اللف كما في قوله من قصيدة (إشراقه أمل)[٢]:

لنا الكعبة الغراء والمسجد اللذي ∴ بناه الرسول المجتبى وصحاب
لنا المسجد الأقصى وصخرته التي ∴ تحوم قرود حولها وذئاب
ثلاثة أقطاب تكامل حسنها ∴ وعز بها في العالمين جناب

فالكعبة الغراء ، ومسجد الرسول – ﷺ – والمسجد الأقصى ، أشار إليهم الشاعر في البيت الثالث بقوله (ثلاثة أقطاب) .

سابعاً: أسلوب الحكمة :

من اللاقت للنظر في شعر الدكتور صالح العشماوي جريان بعض أساليب الحكمة في شعره .، كما في قوله[٣]:

ولربما اسود الضياءُ إذا رأت ∴ عين ابن آدم فيه ما يعشيها

---

(١) القدس أنت/ ١١٩
(٢) السابق / ٦
(٣) القدس أنت / ١٠

في البيت نلحظ وجود الحكمة عن طريق الكناية إذ الشـــاعر لا يريد المعني الحقيقي من وجود القذي في العين ، لكنه يريد أن يقول : إن النفوس اليائسة لا ترى إلا ظلاماً أسدل ستائره علي الدنيا ، أما النفوس صاحبه الأمل فترى النور لا محالة ساطع رغم وجود الظلام والبغى .

ويقول من القصيدة نفسها[١] :

بالمسجد الأقصى شرفت ، وإنما ∴ تعلى الكريمة قدر من يعليها

في البيت يريد الشاعر أن يعلن قاعدة عامة هي أن الإنسان إذا فعل الخير في أهله رد عليه الخير بمثله أو أفضل منـــه . ومنهـــا – أيضاً – قوله [٢]:

ماكل ما يفرى يسر ، وإنما ∴ تشقى النفوس بنيل ما يغريها

وقوله[٣]:

إذا النفوس تحركت أطماعها ∴ فجميع ما في الأرض لا يكفيها

ومن جميل حكمة قوله من قصيدة (نعم .. يا بني قومي)[٤]:

ومن لم يدرب للنزال حصانه ∴ تراجع مهزوماً وفر حصان

استشهاد الشاعر بهذا المعني في موضع قصيدته يعد مناسباً حيث إن الشاعر يستنهض الهمم ، فهو يريد أن يقول إن الإنسان الذي لا يعمل ويقدم أسباب النجاح يصيبه الكسل ويدركه الفشل

(١) السابق / ١١
(٢) القدس أنت / ١٣
(٣) القدس أنت / ١٤
(٤) القدس أنت / ٢٥

بإنسحابه من ميدان المنافسة ويقول – أيضاً – من القصيدة نفسها[1]:

ولا كل روض يجتني من ثماره ∴ ويأوى إلي أعشاشه الكروان

في البيت يعقد الشاعر مفارقه بين المجتمعات والأمم فمنها من ينمو في ربوعها الخير ويزداد، ومنها لا ينبت فيها إلا الشوك ولا يجتني من روائها إلا الشر .

وفي قصيدة (سفينة الأمة) يعلل الشاعر للحكمة رداً علي سائل يطلب الدليل علي صدق قوله، يقول[2] :

ما كل من يدنيك من نفسه ∴ يكشف ما للسر من مصدر
هل يعرف الشاطئ من بحره ∴ ما تحمل الأعماق في جوهر ؟

في البيت الأول يطرح الشاعر قضية هي أن شدة القرب لا تعنى بالضرورة الإطلاع علي الأسرار ومعرفة الخبايا ، وفي البيت الثاني يبرهن الشاعر بالمحسوس علي صحة ما ذهب إليه حيث إن الشاطئ لا يعرف ما بداخل البحر من كنوز وجواهر رغم أنه جزء منه.

(١) القدس أنت/ ٢٧
(٢) السابق / ٨٦

خاتمة البحث وأهم نتائجه

يعد ديوان (القدس أنت) للشاعر الدكتور عبد الرحمن بن صالح العشماوي من دواوين الشعر الإسلامي التي تناولت قضية إسلامية عامة حيث تناول فيه الشاعر الحديث عن القدس الشريف تناولاً مزج فيه إشراقه الأمل بصرخات الأمهات الثكلي في فلسطين كما مزج بين نداء الأمة الإسلامية وبث روح المقاومة وبين التخاذل الشديد الذي أصاب الأمة الإسلامية

أما عن الدراسة الفنية لهذا الديوان فقد تناولت فيها الصورة والتشكيل الإسلوبي وخرجت من هذا الدراسة ببعض النتائج منها:

١- يعد هذا الديوان تطوراً للشعر الإسلامي فواكب فيه الشاعر الدعوة إلي هذا الأدب حيث إن كل قصائده تدور حول قضايا إسلامية

٢- اتسمت لغة الشاعر بالخطابية وقوة الألفاظ

٣- كثرة المفارقة التصويرية المتعمدة علي مقابلة التراث بالواقع المعاصر .

٤- غلبة تكرار العبارة علي تكرار اللفظة المفردة .

٥- تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في أسلوب الاقتباس وذلك يتناسب مع اتجاهه الإسلامي

٦- تأثر الشاعر الواضح بالتراث الإسلامي .

٧- للشاعر أسلوبه الخاص المميز جمع فيه بينه النظرية والتطبيق.

٨- يعد ديوان القدس أنت انعكاساً حياً لتجربة الشاعر وتفاعله مع قضايا الأمة الإسلامية .

مراجـــع البحـث

القرآن الكريم

١- د. أحمد بدوي . أسس النقد الأدبي عند العرب دار النهضـــة المصرية . بديوان تاريخ ٠

٢- د. أحمد الشايب . أصول النقد الأدبي . طبعة ثامنة ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصرية ٠

٣- سيد قطب . النقد الأدبي أصوله ومناهجه دار الشروق طبعة سادسة ١٤١٠ هـــ - ١٩٩٠ م ٠

٤- د. الشحات أبو ستيت . دراسات منهجية في علـــم البـــديع طبعة أولى ١٤١٤ هـــ - ١٩٩٤ م ٠

٥- د. صابر عبد الدايم . شعراء وتجارب . طبعـــة دار الوفـــاء بالإسكندرية ٢٠٠٠م ٠

٦- صفي الرحمن المباركفوري الرحيق المختـــوم دار المؤيـــد ١٤١٧ هـــ - ١٩٩٧ م٠

٧- د. عبد الرحمن العشماوي . القدس أنت . ديـــوان شـــعر . طبعة أولى ١٤٢٤ هـــ - ٢٠٠٣ م مكتبة العبيكان .

٨- د. عبد الرحمن العشماوي . علاقة الأدب بشخصية الأمـــة . طبعة أولى ١٤٢٣ هـــ - ٢٠٠٢ م ٠

٩- د. عبد الرحمن العشماوي . يا أمة الإسلام . ديوان شـــعر . ١٤١٢ هـــ - ١٩٩١ م مكتبة العبيكان ٠

١٠- د. عز الدين إسماعيل. التفسير النفسي لـــلأدب . الطبعـــة الرابعة مكتبة غريب ١٩٧٧ م ٠

١١- د. عزالدين إسماعيل. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية طبعة خامسة . مكتبة الأكاديمية ١٩٩٤م ٠

١٢- د. علي صبح . الصورة الأدبية . طبعة دار إحياء الكتب العربية . بدون تاريخ .

١٣- د. علي الصلابي . الماغول بين الانتشار والانكسار طبعة مؤسسة إقرأ . بدون تاريخ ٠

١٤- د. علي عشري زايد . عن بناء القصيدة العربية الحديثة . طبعة أولى ١٩٧٨ م . مكتبة دار العلوم .

١٥- د. محمد حسن عبد الله . الصورة والبناء الشعري . دار المعارف ١٩٨١م ٠

١٦- د. محمد عبد المنعم خفاجي . الأدب العربي الحديث . طبعة مكتبة الكليات الأزهرية . بدون تاريخ .

١٧- نازك الملائكة – قضايا الشعر المعاصر . دار العلم للملايين طبعة ثامنة ١٩٨٩ م ٠